

قصة بقية
أبراهيم عيسى

الولهان

هؤلاء ، يقفز هكذا .. فقرة واحدة في الهواء - كما يصنع المهر البطر تماما - ويصفق الى الاعلى بكلتا يديه صفقة واحدة حادة ، تصاحبها صرخة عجزية مفزعة ! فتنكمش عند ذلك اطراف تنورته الى الاعلى بلا تكلف ، ويرى حينئذ انه ذكر فعلا دون اي شك لتشكك فيه !. وسرعان ما يتابع خطوه الوئيد الوقور ، وتند صرخة عالية عمن الانثى العابرة ، وتهيم على وجهها مذعورة مهرولة . من هنا كان الولهان موضع سخط باعة اللوازم النسائية ، اذ انه كان سيبيا في (تطفيش) الزبونات عنهم .

وعلى الرصيف المقابل وقف رجل اخر - ولكنه عادي وثابت في مكانه - لاحظت انه يشرح للفضوليين من المارة امثالي ، الذين كان جمعهم في التثام وانفضاض مستمرين . لاحظت انه يشرح لهم اشياء تتعلق بهذا الانسان النشاز ، وقد ارتسمت لهذا الرجل الشارح في ذهني ، صورة المرشد السياحي واقفا في متحف ما او مبنى انثري .

هرعت اليه ، اصغت السمع لكلامه ، وفتحت كلتا اذني . كان مرشدنا قد بدأ لتوه يستأنف قصة الولهان .. التي اصبحنا محفوظا مكرورة لديه . على (الشلة) التي اجتمعت عليه قبل قليل . قال المرشد :

« الولهان لقب اطلقه عليه اهل الشارع هذا . اسمه الحقيقي (راشد سليم) كان طالبا جامعيا حتى سنتين خلتا .. مات ابوه وترك له اما وجدة واربعة اخوة ذكورا وانانا .. هو الوحيد القادر على الكسب فيهم .. قطع دراسته الجامعية وتوظف في احدى المؤسسات الرسمية .. اراد ان يطعم الافواه الفائرة في البيت ، اذ لم يخلف لهم ابوهم من حطام الدنيا اي شيء ، فقد كان هو الاخر موظفا » .

ثم تابع المرشد يقول :

« انه عصامي مئة في المئة ، جاد ، بريء ، رقيق الحس والمشارع . لا يعرف المواربة . لا يحب لغة المجاز ولا يؤمن بادب الجماللة والمداراة . انه يحب دائما ان يدخل البيوت من ابوابها ودون مقدمات او تمهيدات .. مكث في الوظيفة اقل من سنة ثم سرحوه . وسبب تسريحه يأسادة شيء في غاية من الطرافة والايلام .

لقد سرحوه لانه لم يكن مفلقا الباب باحكام .. نعم هكذا روي

لقد اصبح اخيرا ، احدى التحف المتحركة التي تشد اليها انظار الغرباء من الناس ، وانظار السائحين من مختلف الاجناس . اما السالبة العاديين فقد اعتادوا رؤيته في هذا المكان المزدهم من قلب المدينة الكبيرة .

المارة ، جميع المارة ، حتى الذين اعتادوا من قبل رؤيته ، فضلا عن السائحين كان لا بد لهم - عن قصد او غير قصد - من ان يلتفتوا نحوه يتملون فيه - وهو يروح ويجيء على طول الشارع مشرقا ومغربا ، بحركة رتيبة تستمر منذ الضحى حتى المساء .. يتملون فيه شابا في مقتبل العمر ارسل لحيته بلا نظام ، وشاربيه بلا تشذيب . له رأس نظيف تماما فقد حلق بالوسى ، واجفسان منتوفة حتى الجنور ! تلوح من خلف عينيه سيماء وداعة وطيبة وهديء . يتنعل حذاء نسائيا خفيفا ، ويرتدي من اعلى قميصا بلا اكمام الوانه صارخة ومتنوعة ، ويلبس من اسفل (تنورة) هي اشبه ما تكون بتنانير الاسكوتلانديين من نافخي القرب الموسيقية ولكنها اشد منها قصرا .

كثيرون حسبوه لاول وهلة خنفوسا ثم تراجعوا عن ظنهم ، عندما انتبهوا الى انه بلا شعر رأس ! وكثيرون ظنوه بادية الامر (يوبيا) او (هيبيا) ، وما عتَموا ان غيروا نظرتهم ، عندما لاحظوا انه لا يتعاطى الفرام علانية معاية انثى تصاحبه او ذكر !. او انه لا اثر لوهج الحشيش والافيون ، يبدو زيفا ابله في عينيه !.

لم يكن ليؤذي احدا او يعتدي على احد ، لقد الفاه الجميع لفزا محيرا ، واحجية بالفة التعقيد ، صعبة التفسير !.

وبسبب وداعته ، وعدم ممارسته للايذاء اصبح موضع اشفاق واهتمام جميع اصحاب المحال والباعة مسن سكان الشارع ، باستثناء باعة اللوازم النسائية (النوفوتيه)

فهؤلاء فقط ، هم الذين كانوا يتضايقون منه ، ويتمنون زواله ، ويدفعون من اجل ذلك الفدية العظيمة .. اما السبب فهو في منتهى البساطة ..

لقد كان صاحبنا واسمه (الولهان) ، اذ هكذا اصطلاح اهل المحلة على تسميته .. لقد كان مربعيا منفرا للنساء والفتيات ، وبخاصة اولئك اللواتي كن يمررن من جانبه شبه عاريات وقد تسلخن من ثيابهن الا ما قل منها ودل .. كان لحظة تمر به واحدة من

لي ، وهكذا يروي لكم لو سألتموه وتنازل فاجابكم !!

واستمر المرشد موضحا :

« انه حاق ، حاق على جميع بني جنسه من رجال العصر ! . انهم كلهم في نظره (جمال مستنوفة) او (سلاحف مقلوبه علسى ظهورها) في انتظار قدم ما من اية انثى تتفضل عليها بركلة نسائية تميدها مستقرة على بطونها كيما تتابع الديب من جديد ! .

انه باختصار ، يصدر عن حقد فلسفي - وبالمناسبة فانه كان يدرس الفلسفة قبل ان يقطع دراسته ، وانه رفيق صباي ودراستي وابني جارتني ..

لقد اطلق على نفسه لقب (المخلص) وقال ، لي قبل ان يتخذ من نفسه (مخلصا) لبني جنسه الرجال ، وينزل الى الشارع في هذه السحنة :

« لو احكمت اغلاق الباب لما سرحوني ... كنت اقبلها ، اقبلها فقط ، عندما دخل علينا فجأة أحد المراجعين . انتفضت ساعتها كذئبة مذعورة ، تتظاهر بالعفة ، وتصطنع موقف المفهورة والمقسورة ، ثم ندت عنها صرخة حسبها المراجع صرخة استغاثة وكبيراء محطمة ، وشرف منتك ، فهرع الى المدير بيلفه الحادث !! .

(انا) كذفت بي الى الشارع . لماذا ؟ حفاظا على السمعة الاخلاقية للدائرة على اعتبار ان الشخص الذي رأى ما رأى هو غريب عن الدائرة وليس من اهلها ! .

(هي) رقيت الى سكرتيرة خاصة اضافية للسيد المدير ، الذي ليس بابله مثلي ، فهو « لا ينسى احكام غلق الباب عند اللزوم » .

وفي اعقاب ذلك لفظته جميع ابواب الدوائر والمؤسسات ، فأصبح كما تشاهدون ، اعني انه اصبح (مخلصا) ! .

لم اطق صبورا على متابعة الاستماع ، فقد تواردت الى ذهني عشرات الاسئلة .. غدوت في بحران من الدهشة والاستغراب ... انطلقت اسأل :

- وما علاقة جنونه الزاهن بالحادث الذي رويته لنا يا اخ ؟ بل ما صلة الجنون هذا بقصة التسريح ؟ وهل ابواب الرزق انحصرت بالوظيفة ، والوظيفة وحدها ؟

فاجابني المرشد دهشا :

- ومن قال لك انه مجنون ؟ انه شاب عاقل موزون ، عسذب الحديث لو حاولته معه . قلت بشيء من السخرية :

- اذا لم يكن هذا الذي نرى جنونا ، فكيف يكون الجنون اذا ؟ قال بلفظة الواثق :

- انه فليسوف وليس بمجنون ، بل انه صاحب مدرسة ورائد اصلاح اجتماعي ضخم . قلت :

- وهل الفلسفة جنون في رأيك او رايه ؟ قال :

- نعم - يا مستفهم - قد تكون الفلسفة ضربا من الجنون فسي كثير من الاحيان ، ولكنه جنون هادف ينبثق عن غور عميق من الوعي والتفكير والادراك . قلت :

- يبدو لي وكأنك في طريقك لان تصير فيلسوفا مثله ! . قال :

- بل انا أحد تلاميذه ، وعمما قريب سيسعدني ان اصير مثله . وربما تلحقنا انت ، ويلحق بنا كثيرون من اشباهك ! وليكن معلوما لديكم جميعا يا سادة انني ما اقف هنا لا للتبشير بأراء المعلم وتفسير فلسفاته .

قلت باستخفاف :

- هات بشرنا اذا ، وقل لنا ما رسالة صاحبك ؟ قال :

- رسالته : (تحرير الرجل) المعاصر من استعمار المرأة المعاصرة التي باتت تتصرف بمقادير الرجال على نحو لم يسبق له مثيل في القرون الفابرة ! .

ويرى (المخلص) ان العالم كله يتحرك الان بايعازاتها ! انها هي التي ترفع وتضع . تسرح وتعين . تأسر وتفك . تتحدى وتستذل . تعلن الحروب وتوقفها ، والضحايا دائما هم الرجال ! . ولهذا كله يجب ان توقف عند حد . قلت بصير نافذ :

- وهل يحرقنا صاحبك - نحن الرجال - ببلوזה النسائية الحفر ؟! قال :

- وما وجه الغرابة في ذلك؟ انك لو سألته هذا السؤال لاجابك :

« ان الكشف عن السواعد هو اصلا حقنا نحن في المعامل ، وعلى ارضة الموانئ ، وفي المناجم والحقول وغيرها .. فلماذا لا نستعيد هذا الحق ؟ » قلت :

- وشعر الرأس المحلوق بالوسى ؟ والاجفان المتنوفة باكملها ؟! قال :

- اليس من حقنا ايضا ان نبتدع بعض التقليعات ، كي نشبه لنهن اننا نحن الاخرون نستطيع ان نقوم بعمليات مسخ وتزييف لرؤوسنا ووجوهنا ؟ ! .

الشعر المحلوق مقابل شعورهن المستعارة .. اجفاننا المفاة قد تكون الان شيئا مستهجننا ، ولكنكم عما قريب ستعتادون عليها فترونها مالوفة وجميلة ، وجديرة بان تتخذ اتمودجا بديعا يحتنى في (ديكور) الوجه ! .

ولا سيما اذا روجت لها الافلام السينماومرايا التلفزيون والمجلات الفنية . وهذا الاعتياد نظير اعتيادكم رؤية اهدابهن البلاستيكية ، وحواجبهن الشيطانية المرسومة باناقة الى اعلى كاذنساب العقارب ، فضلا عن كدمات التظليل السزرق والسود والخضر والمذنبات الكحلية .

قلت :

- وماذا عن ثورته القصيرة التي يتخطر فيها ، وخذائه النسائي الرشيق ؟! قال :

- انه الرد المباشر على استراقهن البنطال منا ، والجزمة من فلاحينا وخفراء الجمارك . قلت :

- ولكن يظل هناك لفر هذه القفزات الهوائية الحصانية البطرة يا صاحبي ؟!

قال :

- اما هذه فافضل ان تساله عنها مباشرة ، لانني لم اساله عنها بعد ، وهي بعلمي اخر ما ابتدع من حركات . قلت :

- وهل نستطيع الدنو منه دون ان يلحق بنا اذى ؟ قال :

- يبدو انك لا تزال تتربب في عقل الرجل ، وتشك في كلامي ؟! قلت :

- امش امامنا اليه اذا . قال :

- لا بد من ذلك اصلا ، واذا لم يجدني بينكم فانه يترفع حتى عن الالتفات اليكم ، لانكم بنظره بعض القطيع الرجالي المستعمر المسحوق . انه ينكرم بالحديث على مر يديه فقط ، او من هم في طريقهم لان يكونوا

ذلك .

فهل عرفت لماذا ففزاتي ؟ ولماذا افخادي العارية ؟ ليست هي وحدها التي تفعل ما تريد .. نحن ايضا نستطيع ان نتحدى ونفعل ما نريد .

قلت : وماذا بعد ان نرد على التحدي بهذا الشكل يا مخلص ؟ .

قال :

« بعد ذلك لا يبقى احد منكم غيلما مقلوبا على قفاه .. انكم ان تتبعوني في هذه المدينة ، وتصيروا جميعا اولاد فكري .. تتحرروا في ظرف ايام ... سنكتسي حواء ، سوف تنسحب الي موافعها الطبيعية بلا مسخ وبلا تشويه وتزييف .. سوف يتوقف دورها جنسا محضا .. سوف تلقي سلاحها المسموم بصفار واستخذاء ...

وعندها .. عندها لن يكون هناك مزيد من المسرحين، والمأسورين، والمفكوكين ، والزناة ، والمزقة اعصابهم تعففا وكبتا او خوفا من الرب صاحب الملكوت .. عندها يصير لكم المجد على الارض ، ورجالا تعودون لا مجرد ذكران تظنون تسيرون وتخصبون ..

عندها تثبت اجفانكم من جديد وتفرح شعوركم فتزهو منكمسم الرؤوس .. عندها نزهر شواربكم ونورق حتى تصير عرائش، وترجع اليكم بناطيلكم وجزمانكم ...

عندها ينبعث فيكم من الاعماق ، اصوات رجالية خشنة ، ومروءات نائمة ، وعزائم مصلوبة ، وذكورة مفصوبة ، وحسق هضيم » .

ابراهيم عاصي

سورية - جسر الشفور

كان (المخلص) لا يزال يروح ويفدو ، او يشب ويقفز كلما مرت به عارية . دوننا منه - بكامل حشدنا - اعتراضا طريقه ، هشنا ثم وقف بوقار . وقيل ان نساله شيئا قال : « كل ما حدثكم به (ولد فكري) صحيح . خلوه منه عني ، ولكم المجد على الارض ، وقربا رجلا نصبحون » قلت ، وقد استجمعت كل ما يشيره الفضول - عادة - من اهتمامات :

- شيء واحد لم يفسره لنا ولد فكركم .. فلماذا هذا القفز هكذا في الهواء !؟

هز راسه ببطء . ابتسم بتثاقل . ادار عينيه كليهما نصف دورة نحو اليمين ، ومثلها نحو اليسار ، ثم صوبهما فجأة الى وجهي - من دون الجمع الفغير حوله -

واجابني بوقار :

- انه الرد على التحدي بلا مواربة يا ايها الباحث عن البديهيات قلت :

- هل لكم ان تزيدوني توضيحا ؟ قال :

- انا عندما قبلت تحدي زميلتي في الوظيفة بشكل مهذب - كما تقولون - بقبلة ، طردت من الوظيفة .. قذف بي الى الجحيم .. ان التي تريك لهما حتى اصول الفخذين في الدائرة او الحديفة او الشارع وفي كل مكان ، هي مخلوقة تتحدى رجولتك ، تقنم عليك اعصابك وهدوء نفسك ، انها تستثير بهيمتك وحيوانيتك .. انها تطعنك في احشائك . انها ببساطة تعرض عليك ما عندها فاعرض عليها ما عندك ! نعم اعرضه بلا مواربة ، بالطريقة الغابية كما تفعل هي بالتمام .

صدر حديثا

العمل الفدائي

انه ارشاد تطبيقي مسر لمزاولة حرب المقاومة الشعبية والعمل الفدائي على ارض يحتلها العدو ، ويرفض اهلها الاستسلام . فيه نظرة تاريخية وتقييم ممتع للعمل الفدائي: اصوله، وطرائقه، والاساليب الاجدى في الدعوة اليه وممارسته والظفر بعد ادائه . وهذا ما نحن في الوقت الحاضر في أمس الحاجة اليه . فالؤلف رجل خبر حرب المقاومة الثورية والانتفاض على مختلف اعداء الشعب في اميركا اللاتينية والحرب الاهلية الاسبانية ، وهو يضع جميع خبراته في متناول اليد لكل من يود الانتفاع بتجارب السابقين . كما ان الترجمة سهلة متبسطة لا يعثر بها التباس .

انه كتاب كل مواطن ، الفدائي للمناقشة والتطبيق ، والمواطن العادي للتأهب كي يكون فدائيا يوما ما . لهذا نجده يشرح افضل السبل لنصب الكمائن ولغم العسرات المجنزرة ونسف مستودعات الذخيرة والتخلص من افراد دوريات العدو . وفيه كيف يعيش الفدائي ورجل المقاومة ، وماذا يلبس في كل فصل ، وكيف يسلك مع الغير .

انه ثروة جاهزة للاخذ والتطبيق .

الناشر : دار الآداب بالاشتراك مع دار العلم للملايين

الثمن ٢٠٠ ق.ل.